

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب فضل الجوع وخشونة العيش أورد المصنف -رحمه الله- حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: ((خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟))، يعني: أنها ساعة ما اعتادوا الخروج فيها، ((قالا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا، والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوماً، فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً))، يعني: نزلتم على الرحب والسعة ((وأهلاً))، يعني: نزلتم على الأهل، ((فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا الماء))، يستعذب الماء يعني: أنه يطلب لهم الماء العذب الذي يشربونه، ((إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحدٌ اليوم أكرم أضيفاً مني))، وصدق -رضي الله عنه-، أفضل ثلاثة في هذه الأمة من أولها إلى آخرها، النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر، خرجوا ما أخرجهم إلا الجوع ((فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب))، العذق معروف هو القنو من النخل فيه بُسر، وهو الذي صار لونه إلى الصفرة أو إلى الحمرة ((فيه بُسر وتمر ورطب))، وهذا الذي يكون قد نضج، ((فقال: كلوا، وأخذ المديّة))، يعني: السكين، ((فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إياك والحلوب))، يعني: لا تذبح شاة حلوباً؛ لأنه ينتفع بحليبها ((فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا))، وهذا يدل على أن الإنسان إذا وجد الطعام الطيب أكل منه، فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يأكل مما يجد، لكن ما كان -صلى الله عليه وسلم- يسخر حياته -وحاشاه من ذلك- من أجل طعمة يأكلها، أو شربة يشربها، وإنما كان -عليه الصلاة والسلام- يعيش كما يعيش كثير من الناس في ذلك الزمان، إن وجد أكل، وإن لم يجد صبر، وهذا يدل أيضاً على أنه يمكن أن يقدم للضيف ما يكون قري له، مما يدل على الكرم والجود، دون أن يكون فيه إسراف، يعني: هؤلاء ثلاثة، وقدم لهم شاة كاملة، مع عذق كامل من الرطب، يعني: ما اجتتى لهم بعض الثمر ووضع لهم في صحن، قطع عذقاً وجاء به، وذبح لهم شاة كاملة، فهذا لا إشكال فيه، وهو من الكرم إذا كان ذلك ليس على سبيل المباهاة والمفاخرة، ولم يكن ذلك مما يكون فيه التضييع للمال، يعني: إذا كان هذا سيؤكل فلا إشكال في هذا، وإبراهيم -صلى الله عليه وسلم- لما جاء أضيفه من الملائكة، **{فَرَأَغِ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ}** [الذاريات: ٢٦].

فالشاهد قال: ((فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-: والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم))^(١)، رواه مسلم.

خرجوا من بيوتهم بسبب الجوع، ما في البيوت شيء، فأكلوا حتى شبعوا وهم خيار أهل الأرض، فقال: ((والذي نفسي بيده لتسألن يوم القيامة عن هذا النعيم))، فكيف بالذي يأكل صباح مساء من ألوان نعم الله -عز وجل- حتى يشبع، ولا يمر عليه يوم في حياته يخرج من بيته من شدة الجوع، ثم بعد ذلك لا تراه إلا في حال من اللهو والغفلة والطرب والتضييع والمعصية، أين هذا من هذا؟!.

يأكل وهو يشاهد قنوات فيها أشياء محرمة ونساء وعُري، وسادر في غفلته، والمعازف على رأسه، والكلام الباطل يسمعه بأذنه، ويتكلم بفيه ويضحك، وينام ملء جفنيه عن الصلوات، تضييع للجمع والجماعات، فماذا نقول أيها الأحبة مع هذا كله، مع هذه الغفلة والتضييع والتقصير واللهو، مع هذه النعم التي أفاضها الله -عز وجل- علينا؟، النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه مع ما هم فيه من العبادة والاجتهاد والزهد والبذل وألوان المجاهدات، ومع ذلك يقول لهم هذا الكلام ((لتسألن))، فأيضاً نحن من باب أولى، والله -عز وجل- يقول: **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}** [التكاثر: ١-٨]، ((لتسألن)) يعني: هذا قسم مقدر، والله لتسألن؛ لأن اللام هذه لام القسم، والله لتسألن يومئذ عن النعيم، والنعيم كما في الحديث الذي ذكرته في بعض المناسبات أن الله -عز وجل- يقول: "يا ابن آدم، ألم نرؤك من الماء البارد"^(٢).

فهذا من النعيم الذي يُسأل الإنسان عنه، يسأل عن هذه الثياب، يسأل عن هذا الهواء البارد، يسأل عن هذه الأماكن النظيفة التي نعيش فيها الآن، في هذه المحلات الواسعة من المراكب والمسكن، انظروا إلى بيوت السابقين تجد البيوت بحجم غرفة من غرفنا اليوم، غرفة واحدة البيت بكامله، كيف كانت حياتهم والحشرات بينهم، والحر الشديد، ونحن اليوم لو انقطعت الكهرباء ساعة واحدة في الليل أو في النهار لكانت الحالة مستعصية، أليس كذلك؟ لو انقطعت الكهرباء ساعة واحدة ما الذي يحصل؟ أزمة، تُعلن حالة الطوارئ والنفير العام الصغير والكبير، هم حياتهم كلها هكذا، ومع ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لتسألن يومئذ عن النعيم)).

فأسأل الله -عز وجل- أن يطف بنا، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، والله أعلم.

^١ - أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ويتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، (١٦٠٩/٣)، برقم: (٢٠٣٨).

^٢ - أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة ألهاكم التكاثر، (٤٤٨/٥)، برقم: (٣٣٥٨)، بلفظ: ((ألم نصح لك جسمك، ونرويك من الماء البارد))، وابن حبان في صحيحه (٣٦٥/١٦)، برقم: (٧٣٦٤)، بلفظ: ((ألم أصحح جسمك وأرويك من الماء البارد))، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٤٠٦/١)، برقم: (٢٠٢٢).

وصلی اللہ علی نبینا محمد، وآلہ وصحبہ.